ثمرات الفنون

١٢٩٢

بيروت الاثنين في ٨ جمادى الاولى سنة ١٣١٨ موافق ٢١ آب ش و ٣ ايلول غ سنة ١٩٠٠

العيد الحميدي السعيد

أعيدكَ ام عيد الكواكب والبدرِ
وليلة عيد الفطر ام ليلة النحرِ
وليلة عيد الشرق للناس اشرقت
فضاءت بها الاكون ام ليلة القدر
بلى هو عيد الشرق والغرب والعلى
وعيد بنى الدنيا وكل بنى الدهر
كأن الملا ما بين غاد ورائح
نشاوى ولا راح سوى راحة البشر
كأن سهام النور تخترق العلا
تصوب مرماها الى كبد الزهر
كأن شعاع النور يختطف الدجى
يحاكي سناء البرق او طلعة البدر
كأن ربوع الشرق طال به النوى
فغنّت حجازا بالشآم وفي مصر
وقد كنتَ يا عبد الحميد بافقها
ضياء الضحى اللألاء او طلعة الفجر
فلم تبق ارض لم تنل منك رفعة
ولم يبق روض لم يكن باسم الثغر
ولم يبق روض لم يكن روض نعمة
ولم يبق غصن لم يكن فنن الشكر
ولم يبق قفرٌ لم يكن بك آهلاً
ولم يبق بحرٌ لم يكن شاكر البر
نشرت لواء العدل من بعد طيه
واحكمت طيّ الظلم في ذلك النشر

وأحييت ذكر العلم بعد دروسه فراح زمان الجهل مندرس الذكر
أقمت لنا صرح الخلافة شامخًا بحد المواضي والمثقفة السمر
مددت لنا خط الحجاز بهمة علت هام آفاق المجرَّة والنسر
فلا زلت غوث العالمين وغيثهم وغرة هذا الملك في جبهة العصر
ولا زلت يا عبد الحميد مؤيد من الله بالفتح المؤبد والنصر

✹✹✹

قد تمّ اليوم لحضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الدين المبين السلطان بن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان خمس وعشرون سنة على تبوأه عرش الخلافة الكبرى ومقام السلطنة العظمى. ولا بدع إذا اتخذ العالم الإسلامي والوطن العثماني هذا اليوم السعيد موسمًا حميدًا بل عيدًا مجيدًا يتنافسان فيه بإظهار عواطف الابتهاج والسرور ونشر رايات الأفراح والحبور. ومهما بالغا في إعظامه وإجلاله فإنهما إنما يفعلان بعض الواجب تلقاء ما لجلالته من الأيادي البيضاء والمآثر الزهراء.

تسنم «أيّده الله بروح منه» أريكة الملك ووجه السياسة مكفهرٌّ بالخطوب وحالة المملكة في اضطراب وارتباك فشمّر (أعزَّه الله) عن ساعد الجدّ ونظر في تلك المشاكل نظرة الحكيم الخبير فذلل شدائد صعابها وبدّد غياهب معضلاتها بحكمة باهرة وعزم ماضٍ. فأول ما رمى ببصره الحديدي نحو المالية لاعتقاده أن المال هو للدولة بمثابة الروح للجسم لا تحيا إلّا به فاستبدل (أيّده الله) التبذير بالتدبير واتخذ الاقتصاد دستورًا للأعمال فتعززت دعائم المالية العثمانية وأصبح لها شأن مذكور في البيوتات المالية الأوربية كلها وحسبك أنه قد وفى في مدته من ديون الدولة ٢١٥٠٧١٤٨ ليرة عثمانية كما فصّلناه في العدد ١٢٨١ من الثمرات. وعدا ذلك فقد كانت الخزينة الخاصة السلطانية تأخذ سنويًّا من بيت المال مليونًا واحدًا من الليرات وتكلفه مثل هذا المبلغ الطائل أو ما يقرب منه أثمن المأكول والمشروب. فأبى الجناب العالي السلطاني تكليفه هذه المبالغ فترك سنويًّا منها نيفًا وخمسمائة ألف ليرة فإذا جمعناها من يوم تركها إلى يومنا هذا بلغت أحد عشر مليونًا من الليرات من المخصصات ومثلها أو ما يقرب منها أثمان المأكولات والمشروبات ثم التفت (حفظه الله) إلى الجند سياج الدولة الحصين وحرزها المكين فشيّد أركانه وعزّز بنيانه. وكفى بالحرب اليونانية الأخيرة برهانًا محسوسًا على باهر قوَّته وفائق دربته ووفر معداته إلى غير ذلك مما أدهش العالم الأوربي بأسره ودحض أراجيف الخرَّاصين الذين كانوا يسيئون بالدولة الظنون ويذيعون عنها ما يذيعون من أنواع الأباطيل وضروب الأضاليل فكانت الحرب أدعى داعٍ لقطع لسنتهم وأجدى وسيلة لكبح جماحهم. والسيف أصدق أنباء من الكتب...

أما القوى البحرية فلا يزال (أعزه الله) باذلًا قصارى همته بتعزيزها والنهوض بها إلى درجة تحاكي القوى البرية وتليق بشرف الدولة ورفيع منزلتها. وأنت خبير بأن جلالته قد تبرّع كما قالت جرائد الأستانة بمليونين و١٤١ ألفًا و١٦٠ قرشًا لتعزيز القوى البحرية والحربية وأمر اليوم بابتياع ست بوارج حربية جديدة ونسافتين عظيمتين كما أنه أصدر أمره الكريم كما لا يخفى بإصلاح عدد من البوارج القديمة في معمل (أنسالدو) الإيطالي وإفراغها في قالب جديد وأمر أيضًا بابتياع ٢٠٨ مدافع من معمل كروب الألماني لتسليحها والبوارج الجديدة بها وكذلك ابتاع من قبل عددًا من الطرادات وكمًّا وفيرًا من البنادق والمدافع الحديثة. وقد نالت الترسانة العامرة من عنايته نصيبًا وافرًا من الإصلاح فزيد في معداتها وآلاتها وأدواتها زيادة جعلت الآمال وطيدة بأن لا يمضي ردحٌ من الزمن إلّا وتستغني الدولة بها عن معامل أوربا فتزداد رفعة وقدرًا وترجع إليها عظمتها الغابرة في البرّ والبحر. ولم تك سائر الدوائر بأقلّ حظًّا من عنايته «حفظه الله» بل نال كلًّا منها على قدر همتها واهتمامها بأوامره واعتنائها بتنفيذها طبقًا لرغائبه السامية ووفقًا لمقاصده العالية.

أمّا اعتناؤه بالعلوم والمعارف وإحياء التليد منها والطارف فأقل لفتة منك على صفحات تاريخ الأمة العثمانية منذ جلوس جلالته إلى يومنا هذا تنبئك بأنها قد خطت خطوة مهمة في هذا السبيل بعد أن قضى عليها الدهر بالتقهقر زمنًا ليس بقليل فنهضت من سباتها واستفاقت من غفلتها لتسترجع باذخ مجدها وشامخ عزّها. انظر إلى دار الخلافة ترَ فيها من أنواع المدارس العالية بين ملكية وعسكرية وحربية وهندسية وحقوقية وقضائية وزراعية وصناعية إلى غير ذلك من صروح العلم والحكمة وبروج المجد والعلاء مما يضاهي أكبر العواصم مدنية وأغزر المدن علمًا ولا تزال أوامر مولانا أمير المؤمنين تصدر تترى بأن يكون الدين المبين دعامة هذه المدارس والتربية الحقة قوامها لاعتقاده الجازم (نصره الله) بأن الأمة الإسلامية ما قامت ذلك القيام العجيب إلّا بالدين ولا تقوم إلّا به فالإخلال بهذا الشأن الجليل إنما مرجعه على القائمين به والمولجين لإعماله. ولو فقهوا أسرار هذه الأوامر الشريفة وأدركوا دقائقها المنيفة لعضّوا عليها بالنواجذ ولقاموا بتنفيذها قيامًا ينطبق على رغائب الحضرة السلطانية ومقاصدها السنية. وما قلناه عن دار الخلافة نقوله عن جميع الولايات فإن المدارس الرشدية والإعدادية والأهلية قد شملتها كلها حتى لا تكاد تخلو بلدة أو قرية إلا ونالت حظًا من نور العلم الذي به تتقدم الأوطان في معارج العلاء وتترقى في مراقي الحضارة والعمران. وقد أدرك كثير من المدن العثمانية شديد احتياجها إلى المدارس التجارية والمكاتب الصناعية للاحتفاظ على الثروة العمومية ونعمّا فعلت مدينتا سلانيك وإزمير بعزمهما على تأسيس مدرستين تجاريتين كبيرتين تكونان أجمل تذكار لهذا العيد الحميدي السعيد. وبالجملة فإن الشعور والإحساس بحاجات العصر ومؤثرات الزمن كادا يكونان عامين بين طبقات الأمة مما يبشرنا بمستقبل حسن إن شاء الله لأن من أراد أن يعلم حياة كل أمّة في الوجود ومكانتها من العلم بمقوّمات تلك الحياة فلينظر إلى مقدار ما عندها من هذا الشعور وذلك الإحساس فإن رآهما فيها ولو على جانب من الظهور حكم بسلامة حياتها وحسن مستقبلها كما قلناه غير ما مرة. وحبّذا يوم نرى فيه كل بلدة من بلادنا قد استوفت حظها من المدارس العلمية أو التجارية أو الصناعية أو الزراعية فتحقق بذلك أمنية كل عثماني محب لوطنه غيور على مجد أمته خصوصًا وقد رأى القراء في هذه الأثناء من اهتمام جلالته في إنماء الزراعة في البلاد العثمانية ما يحقق الرجاء بمشيئة الله.

أما جلائل الأعمال التي قام بها مولانا الخليفة الأعظم في مدته هذه فأنّى لليراع أن يفيها حقها من الوصف والتعريف وفي كل يوم يرى من آثار همّته ما تصغر دونه جلائل الهمم ومن نتائج سياسته ما دهشت له أساطين الأمم وحسبك مشروع السكة الحديدية الحجازية التي لا نبالغ إذا قلنا أنها أسّ الثروة ومنتهى المنعة والمجد بل هي في وظيفتها كالقلب تتفرع منه الأوردة والشرايين لسائر أطراف الجسم الإسلامي فتقوى عضلاته وتعلو كلمته وتتّحد وجهته وكذلك خط الحجاز البرقي الذي نرى الهمة قائمة على قدم وساق في إنشائه والذي صدرت الإرادة السنية الآن بأن يكون ذا سلكين بحيث إذا انقطع واحد قام الآخر مقامه

فلا تتعطل المخابرات. ولا ننسى الكتائب الحميدية الفرسان التي تألفت من رجال الأكراد الأشدّاء وكان لحضرة مولانا أمير المؤمنين أج مأثرة في تأليفها وتشكيلها تعزيزًا لقوة الدولة وتأييدًا لدعائم شوكتها وعزّها. ونراه الآن (أيّده الله) مهتمًا بتأسيس كلية كبرى للعلوم والفنون في دار السعادة على أن يكون الدين المبين أساسها والتربية الحقّة نبراسها فتكون مدتها سبع سنوات منها أربع للعلوم الدينية مما يؤيّد ما قلناه آنفًا وكذلك مدرسة العشائر التي خصصت الأعراب الرحَّل دون غيرهم لتستنير عقولهم بأنوار العلم والعرفان وتتهذّب أخلاقهم بعوامل التربية الدينية حتى إذا ما أتمّوا المدة المدرسية دخلوا المكتب الحربي السلطاني فيقيمون به سنة واحدة فيخرجون منه ضباطًا وقد ذكرنا أخيرًا صدور الإرادة السنية بإدخال سبعة عشر منهم في سلك الحجّاب ثم يعودون إلى بلادهم فينشرون على أطلالها لواء الحضارة ويبثون في أخلاق عشائرهم روح المدنية. وأنت خبير بما ينتج عن هذا العمل الشريف من جلائل الفوائد وعظائم العوائد سواءٌ للدولة والأمّة. وهكذا قل عن سائر المدارس العالية التي أحدثت في أيام جلالته (نصره الله) مما يضيق فسيح المقام عن الإحاطة بها.

ولحضرة مولانا الخليفة الأعظم اعتناءٌ عظيم جدًّا بالضعفاء وذوي البأساء فقد شيد لهم الملاجىء الخيرية ودور الاستشفاء نذكر منها الملجأ الخيري في بلد الله الحرام وقد أنفق عليه كما ذكرته جرائد الأستانة ٣ ملايين و ٨٧٧ ألفًا و٤٠٠ قرش. ودار العجزة الكبرى في دار الخلافة وقد بلغت نفقاتها مليوناً من القروش ومستشفى الأطفال الحميدي وقد أنفق عليه مليون و٢٨٩ قرشًا. والهمة مبذولة اليوم بتأسيس دار كبرى تضمُّ الأيامى واليتامى حتى إذا بلغوا أشدّهم عُلِّموا صناعة يتعيّشون بها ويكتفون ذلّ السؤال إلى غير ذلك من ضروب البرّ وأنواع الإحسان

أما جوده وكرمه أيّده الله فقد تحدث به الثقلان وسارت بذكراه الركبان فكأنّ زعيم الشعر العربي عناه بقوله :

هو البحر من أيّ الجهات أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضًا لم تطعه أنامله

فقد شمل بإحسانه القريب والبعيد فما من مبرَّة إلّا وهو مجلي حلبتها ولا مأثرة إلّا وهو رافع قصب السبق في شوط مضمارها وقد بلغت مبرّاته وإحساناته من يوم تسنمه أريكة الملك إلى تاريخ الإحصاء نيفًا واثنين وسبعين مليونًا من القروش هذا عدا الخمسين ألف ليرة التي تبرّع بها إعانة لسكة الحرمين الشريفين وما يتبرّع به كلَّ يوم و ينفقه في وجوه البرّ وسبل الإحسان حتى أضحت دار السعادة في أيامه مطلع الجود وموضع الوفود وصار لسان كل قاصد ينادي:

أمطلع الشمس تبغي أن تؤمّ بنا فقلت كلَّا ولكن مطلع الجود

فترى الملوك والأمراء يتسابقون لزيارته ويتنافسون بالتودد إليه والكلّ معجب بما أوتيه (أيّده الله) من باهر الحكمة وكرم الطبع و شريف الخلال وحبّه الحقيقي بتأييد أركان السلم العام وتوطيد دعائمه فامتلك القلوب بإحسانه واسترق الأفئدة بلطفه ووحّد كلمة الأمة بحسن سياسته وحرّك عواطفها للالتفاف حول عرش الخلافة الكبرى ومقام السلطنة العظمى فترى المسلم من أقاصي الأرض إلى أقاصيها يدعو لجلالته بدوام العزّ وعزيز النصر وبالجملة فإن عواطف المحبة ومشاعر الإخلاص مستقرة في فؤاد كل مسلم وعثماني أدرك بعقله ونظر ببصره ما لجلالته أعز الله نصره من زهراء المآثر وغراء المفاخر على الأمة من غير تفريق بين الطوائف ولا تمييز بين الطبقات وقد جاء هذا العيد السعيد أليق مناسبة وأحسن ظرف لإظهار تلك العواطف الجميلة والمشاعر الجليلة فقام الكل قومة رجل واحد يؤدّون الشكر والدعاء ويشيدون السبل الخيرية والمباني النافعة اعترافًا بالجميل وإقرارًا بالفضل الجزيل وتذكارًا لهذا العيد المجيد والموسم الحميد وها نحن نقص عليك نبأ مظاهر الأفراح وشعائر الانشراح التي أقيمت في بلدتنا بيروت وأعرب الأهلون فيها على اختلاف طبقاتهم وتباين مللهم عن عظيم تعلقهم وشديد تمسكهم بأهداب الخلافة الكبرى والسلطنة العظمى أيّد الله أركانها وعزّز بنيانها وحفظ ملجأها وموئلها وأبقاه غوثًا للعباد وغيثًا للبلاد ما أضاء النيران واجتمع الفرقدان آمين اللهمّ آمين

مهرجان العيد

كان يوم السبت «أول أمس» يومًا مشهودًا نشرت المسرات فيه أعلامها ونصبت المبرّات فيه خيامها ولم تكد تشرق الغزالة من حجابها حتى أخذ الأهلون يتجمعون حول دار الحكومة التي كانت مزدانة بالأعلام والرياحين داخلًا وخارجًا وأخذ أرباب المناصب والرتب يؤمونها زرافات ووحدانًا حتى إذا كانت الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم المسعود أقبل حضرة صاحب العطوفة والمجد رشيد بك أفندي ملجأ ولايتنا الجليلة مرتديًا لباسه الرسمي متلألئًا صدره بالوسامات العالية فحيّاه الجند بالسلام وعزفت الموسيقى العسكرية التي كانت في باحة السراي بأنغامها الشجية فصعد عطوفته قاعة الاستقبال الكبرى واقتبل فيها باسم الحضرة العلية السلطانية وفود التهاني من أركان الولاية والأمراء العسكريين ورؤساء الدوائر والجميع بالملابس الرسمية فلما انتظم عقد الجمع رفع صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن أفندي النحاس نقيب السادة الأشراف أكفّ الضراعة والابتهال إلى المولى ذي الجلال بأن يحفظ للخلافة الكبرى بدرها الساطع وللسلطنة العظمى نورها اللامع حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين السلطان بن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان وبأن يؤيد أركان دولته العلية ويؤيد عزّها وشوكتها إلى آخر الدوران وكان الجميع يؤمّنون على الدعاء ثم أقبل الرؤساء الروحيون ورؤساء الشركات ثم جاءت طلبة المدارس الإعدادية والأهلية - العثمانية. والحميدية والآداب - وكلٌّ منها تتقدم بخطابٍ كلّه دعاءٌ بتأييد الذات الشاهانية وحفظها وإعلاء شأنها وكان حضرة ملاذ الولاية الجليلة يقابل هذه الوفود بالبشر واللطف وكانت الموسيقى تصدح بالسلام الحميدي والأهلون يهتفون بالدعاء إلى انقضت هذه الحفلة البهجة على أتمّ نظام وأبهاه.

ثم ركب عطوفة الوالي مركبته وأمامه كوكبة من الفرسان تتلوه مركبات الكبراء والأمراء إلى أن بلغ الموقع العسكري فحيّاه الجند والموسيقى وأجلَّ الأمراء العسكريون استقباله وصعد الكل إلى قاعة الاستقبال حيث تبودلت عبارات التهاني وتكررت آيات الدعاء.

السبيل الحميدي

ثم شرَّف حضرة ملجأ الولاية الجليلة والأركان والأمراء والأعيان مكان السبيل الذي شيده المجلس البلدي في بيروت إجلالًا وتذكارًا لمرور خمس وعشرين سنة على ارتقاء الجناب العالي السلطاني عرش الخلافة الكبرى وكانت البلدية نصبت بجانبه سرادقًا كبيرًا فوقف عطوفة الوالي تلقاء الأنبوب الشرقي يحيط به من ذكرنا والكل بالملابس الرسمية ففاه صاحب الفضيلة نقيب أفندي بخطاب مناسب للمقام ختمه بالدعاء إلى الله تعالى بطول بقاء الجناب السلطاني معزز الشوكة منصور اللواء موفقًا لأمثال هذه المباني الخيرية وكان

المصورون خلال ذلك يأخذون صورة هذا الاحتفال الحافل بالتصوير الشمسي ثم صدحت الموسيقى العسكرية بالسلام الحميدي وهتف الحضور بالدعاء «بادشاهم جوق باشا» ثم حرّك عطوفة الوالي بيمينه آلة إنزال الماء فتدفقت من أنابيب السبيل الثلاثة فشرب منها عطوفته والحاضرون ثم شرف السرادق واستراح به هنيهة طاف عمال البلدية خلالها بكؤوس المرطبات ثم آب إلى دار الحكومة حيث اقتبل التهاني من قناصل الدول العامة وأخذ الأهلون يستقون من السبيل شرابًا مبردًا مرطبًا. ودونك الآن وصف هذا السبيل وصفًا هندسيًّا:

في سهلة السور الواقعة في منتصف الثغر فسحة من الأرض مثلثة الشكل تكتنفها ثلاث طرق من أهم طرق البلدة مجمعها في الزاوية الشرقية منها. ففي هذه الزاوية أقيم السبيل الحميدي من الرخام الأبيض على دكة مستديرة من الحجر الفرني علوّها ٥٤ سانتيمترًا ويصعد إليها بثلاث درجات في كل جهة من الجهات المقابلة لكل طريق. و يبتدأ السبيل بمثلث يتشعع من زواياه ثلاث قوائم تنتهي في ثلاثة أعمدة من الحجر الناري المعروف بالغرانيت «شحم ولحم» ثم ترتفع هذه القوائم مكونة تاجًا فوق كل عمود منقوش على هيئة شبكة ذات جدل لطيف وتتجه عند المركز بجدل عمودي شبيه بظفار الشعر و تكتنف هذه القوائم بثلاثة أحواض من الرخام طول كلٍّ منها ١٥٠ سانتيمترًا وكل حوض مركوز على ثلاثة أعمدة من حجر الغرانيت ومزدان بنقوش مجدولة لطيفة كما في تيجان عواميد القوائم ويحيط بكل حوض سلسلة منقوشة به نقشًا غاية في اللطافة وفوق كل حوض قطعة من الرخام ينصب منها الماء من وسط نجمة منقوشة نقشًا بديعًا ومكتنفة بأكاليل على هيأة ورق الغار. ثم يعلو كل ذلك قطعة ضخمة من الرخام مثلثة الشكل طولها ١٢٠ سانتيمترًا ووزنها نحو خمسة عشر قنطارًا شاميًّا وهي منقوشة الزوايا بهيأة عمود قائم ومحصور بعدة حلقات من الجدل الرفيع ثم ينتهي كل عمود بحلزونة فوقها ورقة عريضة. وأوجه هذه القطعة محدّبة قليلًا ومحفور على إحداها الطغرى الغراء وعلى الوجهين الأخيرين كتابة مذهبة باللغتين العربية والتركية بمعنى واحد وهذا نص العربية منها وهما مكتوبتان بقلم الفاضل الشيخ محمد أفندي عمر البربير :

«أنشيء هذا السبيل الحميدي عام ثلاثمائة وثمانية بعد الألف من الهجرة النبوية تذكارًا وتعظيمًا لمضي خمس وعشرين سنة من جلوس حضرة سيدنا ومولانا السلطان بن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني على عرش الخلافة الإسلامية الكبرى وأريكة السلطنة السنية العثمانية العظمى وصدقة جارية تنضم لما لجلالته من عظيم الخيرات وعميم المبرّات».

وفوق كل ذلك نقوش بديعة جدًّا بديعة يعلوها قطعة من الرخام مثلثة ذات جدل ينتهي في كل زاوية بورقة ظريفة النقش. وهنا ينتهي الشكل المثلث ويبتدئ الشكل المستدير على هيأة عمود قطر قاعدته ٦٥ سانتيمترًا وهي منزلة بحجر الغرانيت المار ذكره وشمعة مؤلفة من قطعتين السفلية منهما محاطة من أعلاها وأسفلها بأوراق منقوشة أبدع نقش يتخللها تضليع مقعّر ومحدّب. والعليا منها خالية من النقش غير أن في وسطها سوار محفور حفرًا لطيفًا مذهبًا. أما تاج العمود فقطره ٦٠ سانتيمترًا ومحاط أسفله بورق العنب ويرجع أعلاه إلى الهيأة المثلثة المحفورة والمنزلة بماء الذهب وعلى التاج عمود ثلاثي الشكل من حجر الغرانيت طوله ٥٠ سانتيمترًا يعلوه تاج منقوش من جهاته الثلاث بورق جميل وفوق ذلك كله الهلال المظفر مذهبًا. أما علوّ السبيل فثمانية أمتار من أسفل الدكة إلى أعلاه ويبلغ وزن الرخام الذي استعمل فيه ١١٥ قنطارًا. وقد قام بهندسته الأديب البارع رفعتلو يوسف أفندي أفتيموس مهندس بلدية بيروت. وبتركيبه المعلم إليان أبو السلو وبنفشه المعلم يوسف العنيد وهما من أشهر صناع الرخام. اهـ

وقد نظم الأديب النبيل رفعتلو بشير أفندي رمضان تاريخًا لهذا السبيل وهو:

لسلطاننا عبد الحميد مكارمٌ تفيض لأبناء السبيل عبيدهِ
فرِدْ حوض جدواه وكوثر فضله وقل ربِّ متعنا بفيض وجوده
قضى الخمس والعشرين عامًا جلوسه فأجريَ تذكارًا إلى يوم عيده
لقد شاده والي الولاية شهمها رشيد بن ممتازٍ فطب بورودهِ
هنيئًا لمن يروي ظمأه مؤرخًا بحوض أمير المؤمنين وجوده

ختان الخمسين صبيًّا

وفي ذلك اليوم السعيد أختتن في المستشفى العسكري خمسون صبيًّا من أبناء الفقراء على نفقة حضرة صاحب العطوفة رشيد بك أفندي ملاذ الولاية الجليلة استجلابًا لدعواتهم الخيرية بتأييد الحضرة السلطانية فأعطي لكل منهم كسوة كاملة من قميص ولباس وخنباز حريري وطربوش وحذاء ومنديل وقد قام بختنهم أطباء المستشفى. وكانت وزعت رقاع الدعوة على علماء الثغر وأئمة المحلات ومختاريها لحضور هذه السنّة السنية. وفي نحو الساعة الثامنة شرّف المستشفى حضرة ملاذ الولاية وحضرات أركانها ونخبة من المأمورين والوجوه وتلطف بزيارة هؤلاء الأطفال الذين أقيموا على سرر مرفوعة في حجرتين كبيرتين فلما أشرف عطوفته عليهم هتف الكل بلسان واحد «الله ينصره» فكان لهذا الدعاء الصادر من أفئدة هؤلاء الأطفال وقع عظيم خشعت له القلوب وشاركهم فيه أمهاتهم اللائي كانت كلٌّ منهنَّ بجانب سرير ولدها وفلذة كبدها فأخذ حضرة ملاذ الولاية يزور كلًّا بمفرده ويحسن إليه بكيس من النقود فيقابله الغلام وأمه بالدعاء بطول بقاء مولانا الخليفة الأعظم مؤيدًا منصورًا وهكذا إلى أن أتمّ عطوفته زيارة الجميع وكانت حرمه المصون قد تلطفت وأهدت كلَّ غلام ألعوبة جميلة وكذلك بعثت إليهم حرم عزتلو خيري بك أفندي رئيس أطباء المستشفى بالحلويات ثم زار عطوفته مرضى المستشفى كلهم وكانوا يومئذٍ ١٤٤ مريضًا فأهدى كلًّا علبة من الدخان ثم جلس هنيهة في باحة المستشفى وحديقته حيث تناول الكل أقداح المرطبات وأكواب القهوة. ولا يسعنا في هذا المقام إلّا أن نشكر لأصحاب المعزة خيري بك أفندي المومأ إليه ومحمود أفندي وعارف أفندي من أطباء المستشفى وأصحاب الرفعة منير بك الجراح والمدير فهمي أفندي وحسن تحسين أفندي وسائر أطباء المستشفى وعماله لاعتنائهم بترتيبه ونظافته أتمّ اعتناء.

مخفر جديد

ثم شخص عطوفة الوالي ومن ذكرنا إلى محلة الأشرفية شرقي الثغر حيث احتفل بتأسيس مخفر لإقامة الجند ورجال الدرك تعزيزًا لدعائم الأمن وتوطيدًا لأركان الراحة في تلك المحلة وختم الاحتفال بالدعاء للجناب العالي السلطاني وتأييد عزّه وشوكته.

زينات الأهلين الباهرة وأفراحهم الزاهرة

ثم تلطف حضرة موئل الولاية الجليلة وتمشى في كثير من شوارع الثغر محفوفًا ببعض الأركان والكبراء والسرور بتدفق من محيّاه ابتهاجًا بما أقامه الأهلون من معالم الزينات الباهرة وشعائر الأفراح

الزاهرة مما لم يسبق له بعد عندنا ندٌّ ولا مثيل.

بدأ الأهلون بإقامة مظاهر الزينة وشعائر السرور منذ يوم الخميس الماضي فكانت الشوارع تتسابق في إعداد معدات الأفراح وتتنافس في نشر رايات الصفاء والانشراح حتى إذا كان يوم السبت وقد أخذت المدينة زخرفها واستكملت زينتها ابتسم الثغر مختالًا في زينة بلغت الغاية من بديع الانتظام وباهر الترتيب فتحولت الشوارع إلى رياض غناء قامت على جانبيها أشجار الصنوبر الخضراء يتخللها أنواع الرياض وأكاليل الغار وتجللها الأعلام المظفرة فتزيد في بهائها وروائها ونصبت فوقها أقواس النصر تخفق حولها راية الهلال. فإذا أتيت الجامع العمري الكبير يومئذ ألفيت فوق بابه الحديدي قبة عظيمة مزدانة بالرياحين والرايات معززة الأركان بألوية خضراء يعلوها كلمة الدعاء «بادشاهم جوق باشا» فإذا ما سريت منه إلى سوق العطارين ألفيته فوق ما وصفناه آنفًا وقد فرشت أكثر حوانيته بأنواع السجاد العجمي ووضعت فيها المقاعد الحريرية وازدانت أبوابها بالتحف الثمينة المزركشة بالذهب الوضاح وهكذا إذ أما عطفت نحو سوق البازركان فالشارع الجديد وقد أقيمت في وسطه قبة من الشال وكذلك قل عن سوق إياس وسوق الطويلة وسوق الجميل فقد كانت كلها مزدانة أجمل زينة وأبهاها وفرشت أكثر طرقها بالسجاد إجلالًا واحتفاءً بهذا العيد السعيد ثم إذا ما تدرجت نحو مينا الخشب ألفيت هنالك أقواسًا عالية زينت بالأعلام والرياحين فإذا ما خطرت نحو المينا وجدت التجار وقد أقاموا من فاخر الزينات ما يأخذ بالأبصار وهكذا قل عن جادة المرفأ فمينا البصل فسوق بيهم وما حوله فسوق القطن فسوق الفشخة فالحدادين فشارع دار الحكومة فبنايات سرسق فأسواق الجوهريين والصياغ فسوق أبي النصر فساحة البرج إلى السور حتى أسواق الخضروات والبقالين وسائر الأصناف وبالجملة فقد كان الثغر آية في البهاء والرواء كأنه معرض عام لنفائس المصنوعات إذ لم يبق تحفة إلّا وعرضت ولا ثمينة إلّا ونشرت ولم يكد يخلو حانوت أو مخزن إلّا وتوّج بكملة الدعاء أو بيت من الشعر إلى غير ذلك مما يقل دونه كلُّ وصف وتعريف. وقد زان هذه المظاهر الشريفة الموسيقى العسكرية مصحوبة برفعتلو الحاج عبد الوهاب أفندي كاتب القومندان فطافت شوارع الثغر تطرب الآذان بأطيب الألحان وتشارك الأهلين بهذه الأفراح والجموع يهتفون أمامها بالدعاء لحضرة مولانا السلطان الأعظم وكان الأهلون يحتفون بها أيّما احتفاء فما استقرت في شارع إلا وطيف عليها بأقداح المرطبات وأطباق الحلوى وأكواب القهوة وأكرمها كثيرون من التجار بالنقود عن طيب نفس وسخاء طبع. وكذلك أقيمت ألعاب السيف والترس والطبل والزمر وجاب أربابها شوارع الثغر يهنئون المحتفلين بهذا العيد المجيد والناس يكرمونهم بالنقود وهكذا أمضى الأهلون على اختلاف مللهم وتباين نحلهم ذلك النهار السعيد في فرح وسرور وجذل وحبور لا شغل لهم غير تبادل عبارات التهاني وترديد آيات الدعاء مما برهن برهانًا محسوسًا على شديد تعلقهم بجلالة المتبوع الأعظم ومزيد تفانيهم بمحبته أيّده الله.

زينة المساء

فليتصور الإنسان إذا أضيف إلى هذه الزينات الباهرة ألوفٌ من أنواع المصابيح المتلألئة والقناديل الملوّنة ثم ليحوّل بصره نحو المآذن الشريفة فيرى كلًّا منها كوكب دريّ يبهر نوره الأبصار وكذلك زينت المعابد على اختلاف مللها بالأعلام والمصابيح ورفع الرؤساء الروحيون أكفّ الدعاء للجناب السلطاني الأعظم أما دار الحكومة فقد اتشحت بالأنوار الغازية يعلوها الهلال المظفر وفوق بابها كلمة الدعاء (بادشاهم جوق باشا) وكذلك الحديقة الحميدية فقد توجت أبوابها الأربعة بكلمة الدعاء وكلها مكتونة بأحرف من نور واستنارت قبتها بالأنوار الساطعة وكانت المصابيح محتاطة بالحديقة كلها وأقيم في كل بقعة منها مرافع ازدانت بالقناديل وكذلك كانت ثكنة الفرسان والموقع العسكري وقد أُنيرتا هذه المرة بالأنوار الغازية بهمة سعادة الهمام شكري بك أفندي أمير الالاي وكيل قومندان الثغر وهكذا قل عن المستشفى العسكري والدائرة البلدية والكمرك والتلغراف والبوسنة والديون العمومية والرجي وشركة السكة الحديدية والغاز والماء وسائر الدوائر الأميرية وغير الأميرية أما زينة البنك العثماني فقد كانت آية في الإبداع والظرف ولم تكن بيوت العلم على تعدادها بأقل زينة مما ذكرنا وكانت دار حضرة ملاذ الولاية الجليلة مزدانة أجمل زينة وكذلك دور أركان الولاية والمأمورين والوجهاء واحتشدت الخلائق أمام دارالحكومة وحول الحديقة الحميدية ازدحامًا زائدًا. وكانت البلدية وزعت رقاع الدعوة على الأمراء والكبراء والوجهاء لإقامة حفلة باهرة في الحديقة احتفاءً بالعيد السعيد واشتراكًا بالدعاء للجناب السلطاني الأعظم ونصبت خيمة لطيفة في منتصف الحديقة وأعدّت للمدعوين مقاعد جميلة. وقد شرّف هذه الحفلة الشائقة حضرة ملجأ الولاية الجليلة وسائر من ذكرنا وبعض قناصل الدول وأقيمت الألعاب النارية على اختلاف أشكالها وتباين أوضاعها فما كنت ترى إلا أسهمًا تشبق كبد الفضاء ثم تنعكس كالنجوم الزواهر وطاف عمال البلدية على الحضور بالمرطبات والحلويات وكانت الموسيقى العسكرية تارة والإفرنجية أخرى تشنفان الأسماع بأطيب الألحان. وقد وقف الشيخ أحمد حسن طبارة أحد محرري هذه الجريدة وألقى قصيدة صدَّرنا بها هذه النسخة وبعد ذلك وقف بأمر حضرة ملاذ الولاية الجليلة سعادتلو عبد القادر أفندي الدنا أحد أعضاء مجلس الإدارة وأعرب للأهلين عن عظيم افتتان عطوفته وجسيم ارتياحه مما أبدوه من باهر الاحتفاء وزاهر الاحتفال في هذا العيد الحميدي السعيد وأنه قد طاف الشوارع والأسواق وشاهد معالم الزينة ومظاهر الأفراح التي أقامها البيروتيون إجلالًا لعيد مليكهم الأعظم مما أضاف إلى تالد إخلاصهم في محبته طريفًا أحرزوا فيه قصب السبق وأن عطوفته سيعرض هذه العواطف للشريفة والشعائر المنيفة على الأعتاب الشاهانية فكان لهذه العبارات أجمل موقع لدى الحضور رقصت لها قلوبهم وثلجت لها صدورهم وقابلوها بتكرار الدعاء جهارًا وهكذا أمضى البيروتيون هذه الحفلة بما لا مزيد عليه من مظاهر السرور ومجالي الحبور إلى أن انتصف الليل. و كذلك أقيمت في باحة الموقع العسكري الألعاب النارية على أشكالها المختلفة وأوضاعها المتباينة. والحاصل أن البيروتيين قد أمضوا نهارهم وليلهم بفرح عام وسرور جسيم ولم يحدث ولله الحمد مع ذلك الازدحام العجيب سواءٌ في الليل أو النهار ما يكدّر صفو الراحة العمومية بل كانت سمر القوم التحدث بآثار محامد مولانا الخليفة الأعظم ومحامد آثاره والدعاء لجلالته بدوام العز وإعلاء الكلمة والنصر المبين.

والثمرات تضمُّ صوتها إلى أصوات الضارعين إلى الكريم المنان بأن يحفظ بدر الخلافة الكبرى وكوكب السلطنة العظمى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الخليفة الأعظم السلطان بن السلطان السلطان الغازي (عبد الحميد خان) وأن ينصره نصرًا مؤزرًا وأن يؤيد أركان دولته العلية ويحفظ الصادقين من رجال دولته ما سبّح ملك وطلع نجم في فلك آمين.

نبشر القرّاء بصدور الإرادة السنية السلطانية بالعفو عن بقايا الأموال الأميرية المتأخرة إلى سنة ١٣٠٠ «مالية» وقد بلغ مجموعها ١١١٧١٠٠٠ ليرة عثمانية وهي لعمري منة يقابلها الأهلون بمزيد الشكر وخالص الدعاء.

ضاق نطاق الجريدة عن نشر الأخبار برمتها وكذلك ذكر بعض هدايا قدمت للمختتنين. وقدوم الباخرة (عنايت) وعليها ألف قطعة من خطوط السكة الحجازية فمعذرة إلى حضرات القرّاء والمراسلين وموعدنا بذلك كله العدد الآتي إن شاء الله.

(الاحتفال)

(بتأسيس السكة الحديدية من دمشق الشام إلى بلاد الله الحرام)

جاءنا اليوم من مكاتبنا في دمشق ما نصه:

في هذا النهار الميمون الذي هو عيد مرور ربع قرن على جلوس مولانا أمير المؤمنين على أريكة الملك العثماني ألا وهو السلطان بن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني كان الاحتفال بتأسيس السكة الحديدية الحجازية على أكمل نظام وذلك أنه في الساعة الرابعة عربية عقب أن تمت معايدات عيد الجلوس الرسمية على أتم رونق وبهاء قصد دولة الوالي ناظم باشا وعطوفة مجيد بك مفتش حوران الجديد وسعادة حقي باشا قومندان الفيلق الخامس وسائر أمراء الملكية والعسكرية وأرباب المناصب والرتب وهم بالألبسة الرسمية قرية القدم خارج باب الحجاز حيثما أعدت هناك أسباب الاحتفال ونصبت السرادقات الفخيمة ورفعت الأعلام العثمانية واصطفت الجنود على جانبي الطريق ومعها الموسيقى السلطانية تصدح بأنغامها الشجية ومهندسو السكة الحديد يستقبلون الوقود بالتجلة والإكرام وكانوا قد خططوا مكان المحطة ووضعوا الخطوط والإشارات ولم يلبث أن اكتمل الجمع حتى قام دولة الوالي وتبعه الأمراء والأعيان إلى نقطة هيئها المهندسون لأجل إنشاء سبيل ماء أمام المحطة حسب إرادة الخليفة الأعظم فوقفوا جميعًا هناك وقام بينهم حضرة العالم الفاضل فضيلتلو مفتي دمشق ودعا لأمير المؤمنين بدعاء كان يؤمّن عليه الجميع ثم تلاه حضرة العالم الفاضل الشيخ بكري أفندي العطار ودعى بدعاء مثله أيضًا ثم تلاه حضرة الشاب المهذب فضيلتلو محمد علي أفندي الكزبري وتلا خطبة أنيقة تعرب عن أهمية هذا المشروع والخطبة ترى في ختام هذه الرسالة(١) ثم تلاه الكاتب الخصوصي لعطوفة مفتش حوران وفاه بالنيابة عن عطوفته بخطبة تركية العبارة مع اختصارها حاوية على ضروب البلاغة التركية والمعاني الجامعة ومؤدّاها أن هذا المشروع على أهميته هو واحد من مشروعات عظيمة توفق وسيتوفق إليها جلالة السلطان عبد الحميد وأن على دمشق أن تفتخر بكونها مبدأ لهذا الخط الذي له في عالم التجارة من الأهمية ما لا يخفى على بصير ثم تلاه سعادة خليل أفندي الخوري مدير الأمور الأجنبية وتلا بضع أبيات أبيّات بمعنى ما تقدم أيضًا وبعد هذا قدّم لدولته الوالي معول لطيف فأخذه وضرب به في الأساس ثم وضع بيده الحجر الأول وتلاه عطوفة المفتش ففعل مثل ذلك وتقدم سعادة القومندان ففعل كذلك هذا كله والناس خشوع كأنما على رؤوسهم الطير لأبهة المقام وجلالة المقصد الذي هو أحد مقاصد أمير المؤمنين العظيمة ومن ثم إرفضّ الجمع المحتشد وعاد كل إلى مكانه في السرادقات حيث أديرت عليهم المرطبات وقاموا وكأنهم ألسنة ناطقة بالدعاء لجلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وفي الساعة السادسة عربية كان هذا الجمع الجليل محتشدًا في مدرسة الإناث الصناعية التي احتفل بافتتاحها تذكارًا للعيد الفضي المجيد كما احتفل بعد هذا أيضًا بوضع عامود التلغراف الحجازي في ساحة سراي الحكومة وتأسيس الساعة العظيمة التي ستقام أمام دار الحكومة الجديدة ومن ثم تحوّل الجمع أيضًا إلى مستشفى الغرباء الجديد وصار افتتاح دار التلقيح فيه كل ذلك تذكارًا لهذا العيد السعيد وعلى أبهج نظام وترتيب فنسأل الله تعالى أن يؤيّد دولة أمير المؤمنين ويجعل وجهته أبدًا إلى أمثال هذه الأعمال الجليلة التي تنفع المسلمين آمين.

---

(١) ضاق نطاق الجريدة هذه المرة دون نشرها.

قصائد التهاني

أتتنا القصائد تترى ناظمة عقود التهاني في هذا العيد السعيد السلطاني فأدرجناها حسب ورودها:

قال شيخ الشعراء صاحب المكرمة العلمية الشيخ قاسم أفندي أبو الحسن الكستي:

سلطاننا عبد الحميد فضله ... يستوجب الحمد على الدوام
سلو ملوك الأرض مع باقي الملا ... عن عدل هذا الملك الهمام
عزائم الأقدار أنصارٌ له ... كجنده والدهر كالغلام
دولته قد أوثقت عروتها ... عناية الله بلا انفصام
وذاته اعتزت بها الدنيا وقد ... فازت بنيل القصد والمرام
يلقى الأمان كل إنسانٍ غدا ... في ملكه كالبلد الحرام
أوفر من فيض البحار جوده ... وفكره أمضى من الحسام
عنه وعن أبيه أخبار العلا ... تروى وعن أجداده الكرام
فهو أمير المؤمنين من به ... تجني ثمار الأمن والسلام
ذو حكمةٍ بالغةٍ ... وهمةٍ ممتازة برفعة المقام
جرى لربع القرن من جلوسه ... بين الورى عيدٌ بخير عام
تسابقت خير رهان المدح في ... مضماره بأفصح الكلام
وإن هذا العيد قد أرخته ... أعظم عيد كان للأنام

١٣١٨

وقال الشاعر العصري المتفنن الشيخ محيي الدين أفندي الخياط:

أطلسٌ دائرٌ وأرضٌ سماءُ ... شهبها النور فهي أرض ضياءُ
طوقتها سلاسلًا من نضارٍ ... وهي بيضاء قبة حمراء
من سهام فوق العلا خافقاتساكنات بها الثرى وضاءُ
ذكرتنا نيازك النار لاحت ... وهي بالأفق أنجم رفلاءُ
أبيضٌ أحمرٌ وخضرٌ وصفرٌ ... قزح القوس أم هي الأضواء
نور زُهر أو نَوْر زَهر حواه ... روض أفق أو روضة غناءُ
أيها الأطلس الأثير أيوحٌ ... بالليالي أم الليالي ذكاءُ
خلل بالمدار فالليل صبح ... لا ظلام به ولا ظلماءُ
أيها الليل أين منك الدياجي أقضت وانقضت وتم القضاء
عوّض الله صبحنا عنك ياليـــل فللبعث بيننا الالتقاء
عصر نور أو نور عصر حميد ... فر منه الظلام وهو هباءُ
لك (عبد الحميد) فيه لواءٌ ... خافقٌ من بنوده الزهراءُ
يا ابن (عثمان) أيّ تخت تبوأ ... ت وملك له الملك فداء
قد صعدت السرير وهو خفوق ... وقبضت الحسام وهو دماء
وفللت الخطوب وهي مواض ... وفتلت الزمام وهو ذماء
فجمعت الأمور والأمر شتى ... وعمرت البلاد وهي بلاء

شدت فيها مدارسًا هن قبلًا طلل دارس ورسم عفاء
وبروعًا أرجاؤها آهلات قرّ فيها وفي بنيها الرجاء
أصبحت بالفنون تحكي جنانًا تربها التبر درُّها الحصباء
يصدح العلم في صباها (حجازًا) فتناغي (عشاقه) الورقاء
شدت فيها مصانعًا في مغانٍ هي للتجر مغنم وثراءٌ
معهد باذخ بناءٌ عظيم مشهد شاهق علاه بناء
وسبيل زلاله سلسبيل وبروج هياكل أرجاء
قد ملأت البلاد عدلًا وعلمًا أين منك الملوك والعلماء
أيّ ثغر ما أنت فيه ابتسام أيّ أرض ما أنت فيها ماء
في ربوع (الحجاز) أومض (برق) منك ودّت (أسلاكه) الجوزاء
في ربوع (الحجاز) سطرت خطا تتمنى (حديده) الزرقاء
أكبرته الأيام فهي أيام عنه كانت وعصرك العذراء
أكبرته العباد فهي عهادٌ عهدتها من جودك الأنواء
أكبرته البلاد فهي ثغور كلها ألسنٌ وكلٌّ ثناء
أكبرته الأملاك والعالم الغيـــبيُّ والرسل قبل والأنبياء
وقلوب الإسلام حولك حامت كحمام وطوقها النعماء
فتبوأ (خلافةً) أنت فيها نقطة الباء وهي فيك الباءُ
عدّها القوم عثرة وحزونًا للمعالي وهي السهول الفضاء
حملت للأنام نورًا ونارًا هكذا العدل شدة ورخاءُ
حملت للأنام أي علوم فهي للعلم راية ولواء
أين كانوا أيام كانت ولكن سنّة الله في الأنام سواء
إنما الدهر من قصور براءٌ مثلما الدين من قصور براءُ
سنن الله في الخلائق طرًا هي فينا المحجة البيضاء
ودّ قوم للفرقدين افتراقًا فاحك يا قطب واسمعي يا سماءُ
لا أغالي بيض الأنوق قريب دون هذا والأقرب العنقاء
توأم الملك والخلافة فينا أرضعته أم العلا السمحاء
قد ملكنا الثرى وجزنا الثريا فيهما والزمان ظل وماءُ
وجنينا من العلوم جناها وجنينا وما جنى الأعداء
لا قنوطًا فالدهر يعطي سجالًا إنما الناس كلهم أكفاء
وحنانيك إن قصرت يراعيفهو زجٌّ لا صعدة صماء
أيطول الزجُّ الغزالة فذًّا حيث لا تبلغ الضحى الصعداءُ
(ربع قرن) نعده ألف عام ألف عام جميعها آلاءُ
وسموه (الفضي) وهو نضار وعليه من الضحى لألاءُ
دمت للدين ملجأ وملاذًا ما استضاءت أرض وضاءت سماء

وقال أيضًا:

إليك فما تغني القنا والقنابل إذا لم يقم بالأمر كاف وكافل
وإنك كفؤ الملك والدين كافلٌ وإنك سيف الدين والعدل حامل
وليس الظبي إلا مخاريق لاعب إذا سلها كف عن العدل عادل
وليست قلاع الجو تدعى معاقلًا إذا لم يدر أمر المعاقل عاقل
وما تصنع الأجناد والجهل قائدٌ وما تنفع القواد والجند خاذل
هو العلم ما هذي القصور مشيدة لتبني فخارًا والمشيد جاهل
كذلك ما تبني الجبال شواهقًا تناطح هام الأفق وهي مجاهل
إذا العلم لم تعهده منها معاهدٌ غدت بلقعًا وهي الربوع الأواهل
وما العلم إلا الدين مع عمل به وما الدين والأعمال إلا الفضائل
أتتك أمير المؤمنين ووجهها ووجهك وضاح عليه دئل
تمد يمينًا ذات يمن ومعصم له الكون والأنام أنامل
قرونًا ثلاثًا جاوزت بعد عشرة وتبقى إلى أن يسحل الكون ساحل

وتحيى وفي الإسلام حي وميت وليست بقايا السيف إلا التواكل
تقطعها الأجيال وهي قواطع وترشقها الأقتال وهي قواتل
توالت عليها الحادثات وكفها طليق وما للقيد إلا السلاسل
تحملتها كهلًا بلى كنت شيخها وما ونيت يا كهل منك الكواهل
خليفة ربّ الكون تلك (خلافة) إذا أيمت لم يبق في الكون عاهل
رعيت رعاك الله أي رعيةٍ تقاتل بالأرواح فهي الجحافل
وما ينفع الجيش العرمرم في الوغا إذا لم يكن مستقتلًا من يقاتل
تبوأت عرش الملك والجهل طالع بأفق الرزايا والخطوب نوازل
على حين ما أن الخلافة أعوزت زعيمًا فلم تقبل سواك القبائل
وأم العلا رامت خطيبًا لبكرها وليس لبيت المجد غيرك أهل
وقائلة قالوا أقاويل جمةً فقلت وكم قد قال في الناس قائل
وما راكب البحر العباب تحوطه عواد كمن يؤويه بالبر ساحل
وما يصنع البحار فوق سفينةٍ إذا عطلت بالسير منها المراجل

إلى أن يقول:

فدعهم يلج القول تفديك أمة بك اتصلت روحًا فلم يبق فاصل
وما الشعب والسلطان إلا وشائج وما الناس والأوطان إلا الفعائل
تعدك --- الله إذ أنت عندها خليفته والسر في تلك حاصل
لقد سستها بالعلم والحلم والندى وهذي المزايا كلها والفضائل
مليك البرايا دأبك الجد لا تقف فأنت لنا عضو عن الجسم عامل
كذاك دهاقين العلا ورجاله وليس امرءًا إلا الهمام الحلاحل
عداك الردى لو جاز بالشرق هيكل لما نصبت إلا إليك الهياكل
ولو أن أهل الشرق مثلك لم نجد سوى الجديل ما كان في الشرق خامل
لقد شدت للتعليم أي مدارس بها علمتنا كيف تنشئ المعامل
ولكننا اعتدنا الخمول وشرقنا أناخت عليه بالخمول كلاكل
نؤمل أن نبقى لذي الأمر عالة يعول علينا الدهر والكل عائل

إلى أن يقول:

ولست أزكي النفس بل أنا واحدٌ بلى كلنا المسؤول والله سائل
ودونكها ليس التبرح شأنها ولم تتبذل قط والغير باذل
لقد صغتها والشعر يشهد أنني هجرت قوافيه فهن قوافل
وما اجتني منها البلاغة إن أكن بليغًا بعصر فيه بأقل قائل
دعوني وشأني والتظاهر لا أرى فليس يعاب البدر والبدر آفل

وقال رصيفنا الوطني الفاضل عزتلو إبراهيم بك الأسود صاحب جريدة لبنان الغراء: وقد تلاها بين يدي حضرة ملجأ الولاية الجليلة نهار الاحتفال:

في عيد سلطان العلا ابتهج الملا والكون أصبح بالسرور مسربلا
في عصره الزاهي الرعية أبصرت بدر النجاح بنور طلعته انجلى
طاف الفلاح ممالك الدنيا فلم يبصر كيلدزه المبارك منزلا
فأتى ولاذ بظل باذخ مجده ورأى له في كل نادٍ معقلا
والعلم أمرع في حماه وأينعت أثماره وجناه طاب وقد حلا
ملك تخر الراسيات لأمره وتكاد هيبته تصد الجحفلا
عبد الحميد إذا عساكره انتضوا أسيافهم ولي العدو مهرولا
دار السعادة مذ تبوأ عرشها باهت برفعته السماك الأعزلا
عرش تصون علاه حكمة عاهل تحكي مضاربها القنا والمنصلا
من مثل مولانا الذي الدنيا به - افتخرت وقد اتخذت مناقبه حلا
لم يعل في ذا العصر مولى مثله عرشًا وفي الزمن المقدم ما علا

مولى إذا في المشكلات قد انتضى من رائه سيفًا يفل المشكلا
مولى تبارك من يراه منزهًا فهو الذي من كل عيبٍ قد خلا
وهو الذي إن حل ساحة فضله عافٍ ينل من جوده ما أملا
أحيي البلاد بغوث راحته وكم لعباده بذل الهبات وأجزلا
بحر إذا حبس الغمام فإن في كلتا يديه للرعية منهلا
عيد الجلوس لربع قرن قد بدا عيدًا سعيدًا بالفلاح مكللا
فتهللت منا الوجوه وقد غدا كل امرئ يبدي الدعاء مرتلا
ليدوم مرفوع اللواء وعرشه أبدًا تحف به ملائكة العلا
وقال الأديب الفاضل مكرمتلو الشيخ إبراهيم أفندي المجذوب:
أنظم الدر بسلك الاحترام للمليك الأعظم السامي المقام
هو سلطان البايا ذو العلا من غدا للدين والدنيا إمام
نشر العدل وأحيا عصره وبه أشرق كالبدر التمام
زين الكون بمجلى ذاته وتحلى بكمال وانتظام
فإلى حضرته أهدي الهنا بجلوس كان عيدًا للأنام
بعد ربع القرن وافى بالصفا وتجلى بسرور وابتسام
وبه بيروت قامت بالدعا مثلما قامت به مصر وشام
دمت يا عبد الحميد المجتبى فوق عرش الملك ما غنى الحمام
وشدا طير التهاني أرخوا وبدا مجد الورى في خير عام

وقال مؤرخًا أيضًا: ١٣١٨
لجلوسك المسعود يا ملك الورى عيد به انتظم السرورُ الأكبرُ
وغدت بشائره تقولُ لعصرهِ أرخ لنا أضحى الجلوسُ الأنورُ

وقال الشاعر النبيل راغب أفندي عز الدين ١٣١٨
سلطاننا عبد الحميد المرتضى أضحى به عيش الرعية أرغدا
في ربع قرن قد مضى لجلوسه طير الهنا أرخ بانس غردا

وقال أيضًا: ١٣١٨
سلطاننا ذو العلا عبد الحميد غدا عيد الجلوس به يزداد تزينا
أدامه الله أعوامًا مجددة بالعز والنصر قل بالله آمينا

ونظم الشاعر الأديب رفعتلو محمَّد راغب أفندي البزري كاتب ضبط محكمة تجارة بيروت هذا التاريخ وقدمه لحضرة ملاذ الولاية الجليلة:
في عيدك الفضيّ يا ملك الورى شرفً به افتخرت بنو عثمان
في ربع قرن وجهه يزهو كما تزهو وجوه الحسن والإحسان
فلذا لسان الحال أضحى تاليًا آيا لدعا في السر والإعلان
لا زال في التأييد أرّخ ناشدًا سلطاننا عبد الحميد الثاني

وقال الذكي الأديب الشيخ حسين أفندي الحبال:
جلوس به الأوطان باسمة الثغر وعيدٌ به الأكوان واضحة البشر
جلوس وعيد البسا العصر مطرفًا من المجد منسوجًا بأنملة الفخر
جلوس به الإسلام شرقًا ومغربًا يرتل آي الشكر في السر والجهر
وعيد به الدنيا تكلل أفقها بإكليل نظم النور لا اللؤلؤ النثر
حنانيك (يا عبد الحميد) فكلنا غدا قاصرًا عن أقصر الحمد والشكر
بأي لسان أم بأي يراعة نهني الورى والعصر يا زينة العصر
مضى للعلا خمس وعشرون حجةوأمّ العلا وضاءة الصدر والنحر
مضى ربع قرن ذرّ في ذروة العلا وكان لنا بالشرق كالشمس والبدر
تجلت به الأنوار وهي مآثر فعدنا ولم ندر الظلام من الفجر
مدارس علم أو معاهد حكمةٍ بروج افتخار حلقت هامة النسر
فماذا عسى نبغي عداد مآثر وأسهل من تعدادها عدد القطر
تفديك يا «عبد الحميد» رعية تعدك مثل القطب للأنجم الزهر
حكت ليلة الفضي يا تبر بدرها محياك وهي النور والليل إذ يسري
هو العيد فضيٌّ وإنك عيده وعيدك عيد الدر والماس والتبر
فلا زلت حتى أن ترى ذهبيه يقلد طوق النور من جوهر العمر
وعززًا مليك العصر إن كنتُ قاصرًا فلست فتىً من حلبة النظم والنثر

وبعث إلينا الكاتب الأديب رفعتلو حكمت بك شريف باشكاتب المجلس البلدي بطرابلس الشام القصيدة الآتية:
في جلوس ملكنا «عبد الحميد» طفح البشر بذا العيد السعيد
وغدا الليل نهارًا مثلما أصبح الصبح منيرًا مستزيد
ملكٌ قد أسس الملك على أسس العدل طريفًا وتليد
رأت الأعداء منه صولةً شيبت منها لهم كل وليد
وله رأيٌ جليل صائب يبرم الأمر بحزمٍ عن أكيد
قد بنى المجد لنا طول المدى إذ بنى المجد مدى الدهر العتيد
وغدت أيامه مشرقة في جبين الدهر كالدر النضيد
وأتى النصر له يسعى كما قد أتاه الفوز إتيان العبيد
فازدهى الكون منيرًا مشرقًا مثلما قد أشرق العدل الوطيد
ملكٌ قد قام بالقسط وقد طوّق الأعناق بالعقد الفريد
وهو بالحلم ملاذ يرتجى خصّ بالحكم وبالرأي السديد
وإمامٌ قائمٌ بالقسط في فضله أضحى فريدًا ووحيد
تطلع الأقمار من آرائه وعليها من شموس الملك زيد
فكفانا شاهدًا من نوره لامع البرق الحجازي الجديد
وكذا ما أنعم الله به بامتداد خطه ذاك الحديد
كم لمولانا أمير المؤمنين من صلاح وفلاح من جديد
فكبل بلدٍ بل قرية جامع أو مسجد فيها أشيد
وبيوت العلم في أيامه قد غدت بالعلم تزهو وتفيد
لا أرى تعدادها يمكنني لو وصلت الليل بالصبح العديد
نعمٌ أصغرها أكبرها ويدٌ معروفها دومًا يزيد
قد حمى الإسلام طرًّا مثلما حرم الله غدا سهل الصعيد
وحمى بيضة دين المصطفى بالعوالي السمر والسيف المديد
يده اليمنى سحابٌ ممطرٌ يده اليسرى فناءٌ للعنيد
وأرى قرضًا أكيدًا واحبًا مدح سلطان الورى «عبد الحميد»
دمت يا «عبد الحمد» المجتبى بانتصار دائم ما ظلّ عيد
وهناء وصفاء وبها بختام الرسل والعيش الرغيد
قاهر الأعداء دومًا في الوغى ما شدا «حكمتُ» العبد العتيد

«البقية تتلو»

(عبد القادر قباني)